مقتطفات من كتاب الوصايا العشر

ما هي العظمة؟

"دع المجد والشهرة للحمقى، واذهب أنت بالعظمة"

والعظمة: شيء مختلف عن المجد، بعيد من الشهرة ..

العظمة: عمل من أجل العمل..

أما المجد: فعمل من أجل الزُّهْو، كما أن الشهرة عمل من أجل الغرور..

العظمة: خُلوص الشخصية من آفاتها، وخلوص العمل من بواعث النفعية والوصولية..

العظمة رِفْعَةٌ، تحقق نفسها بالترفُّع..

والشهرة، كثيراً ما تحقق نفسها بالتهالُك..!!

والإنسان العظيم، يسعى إليه المجد، وتخدمه الشهرة.

أما طالب الشهرة والمجد، فإنه يتحول إلى خادم ذليل لهما، وإلى تراب تحت أقدامهما..!!

و "العظيم" بسيط فى مظهره واثق بنفسه.

هو يعلم أن لديه كثيرا مما يريده العالم. ويحتاجه الناس..

وهو يقدم هذا الذى عنده فى غير من، وفى غير صلف..

هو:

يعطى، ولا يسأل ..

يمنح، ولا يأخذ..

يقبل، ولا يدبر..

يواجه، ولا يهرب..

ينفانى، ولا يتردد..

إنه يخدم الناس، لا طمعا فى مال، ولا فى ثناء.

وهو يؤدى دوره فى استبسال وغبطة، فإذا جاء النصر، وحققت راياته ـ انسحب فى هدوء، باحثا عن واجب آخر يؤديه، وبطولة أخرى يحققها !!

لا يقف لحظة، ليقول للناس: انظرونى..!!

ولا يطالب لنفسه بامتيازات خاصة لقاء ما أدى. وجزاء ما فعل. وهو مهما تعل مكانته، لا يفتأ يعيش.. "واحد" بين الجميع، ويرفض أن يعيش "سيدا" فوق الجميع..!!

ذلك أن ثراء مواهبه وروحه. يمنحه دائما شبعا وريا، فلا يعود يرى فى الأمجاد التى يتهافت عليها الصغار سوى فتات لا تقع عليه عين مشغولة بالمناعم، ولا تتشهاه نفس شبعانة بالطيبات..!!

الفضيل بن عياض

كان "الفضيل بن عياض" الصوفى الكبير إذا اعتدى عليه بالسباب مُعتدٍ، رفع كفيه متبتلاً وقال:

ـ "اللهم إن كان كاذبًا فيما رماني به، فاغفر له.. وإن كان صادقًا، فاغفر لي"..!!

البر والإثم

ذات يوم سأل الرسولَ عليه السلام سائلٌ عن البر والإثم: فأجابه الرسول:

"البر ما اطمأنت إليه النفس، ورَضِيَ عنه القلبُ.. والإثم ما حاك في صدرك، وخشيت أن يَطلع عليه الناس"..

انظر أى معيار حاذق وصادق يرفعه الرسول للسلوك..!!

إنه يربط السعادة بالبر ـ ويربط الشقوة بالألم..

لأن السعادة قطعًا فى طمأنينة النفس؛ وفى شجاعة القلب، وهما ثمرة الحياة الواضحة النظيفة العائشة فى النور والطهر..

أما قلق النفس، وضجر الضمير، والحياة التى تطاردها أشباح الخوف، والندم، واللوم.. فتلك هى التعاسة، وذاك هو الشقاء.

غداً تغرد العصافير

فاصبر على أداء واجبك، وثابر على تجويد عملك، ولا تيأس أبداً..

اجعل شعارك "غداً تغرد العصافير"..

فإذا غلبك اليأس، فقل: "بعد غد، تغرد العصافير"..!!

احفظ عليك هدوءك، وإصرارك، ولا تيأس..

إذا اقتلعتْ الريح خيمتك، فاعلم أن القدر يدعوك لتبني مكانها قصراً..

وإذا انفجرتْ البراكين حولك فقل: إن القدر يحرث لي الأرض، لملأها غراساً وبذراً..!!

"إن يد الله تخفقُ بالنجدة لكل مثابر، دءوب"

هكذا قال الحكيم؛ وإنه لصادق..

عِش مُفكراً

لقد ضرب الله للحقيقة مثلاً ـ أولئك الذين حُرموا نعمة الفقه، والتفكير.. فقال تعالى: ﴿جعلنا لهم سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة، فما أغْنَى عنهم سَمْعُهم، ولا أبصارهم ولا أفئدتُهم من شيء﴾ ..!!

فَعِش مفكرًا..

أى عملاق رابض تحت ضلوعك.. فكِّر، لا لتكون "سقراطًا" أو "توم بين" أو "الأفغانى" وإن كان من الممكن أن تكُونه..

بل فكر لأنك إنسان، ومن ضرورات إنسانيتك، أن تكون مفكرًا، وأن تكون لك وجهة نظرك، تجاه عالمك، وتجاه كل قضايا الحياة..

ولكن..

ـ فكِّر فى غير غرور ..

ليس هناك أحد، فيلسوفًا كان أو عبقريًا، يملك وحده الحقيقة ويعرف وحده جميع الصواب.

إن الناس لم يُختصروا فى واحد.. والحقيقة لم تَحبس نفسها داخل دماغ..!!

كل فكر يرى الحقيقة من جانب، ويكشف منها عن جزء.

فمهما يفتح الله لك من رحمة وحكمة لا تدع الغرور يستحوذ عليك ـ إن الغرور عزاء تقدمه الطبيعة لصغار النفوس، فلا تكن صغير النفس..!!

واذكر أن آفة كل تفكير سديد، هو الغرور الذى يأخذ ضحاياه بعيداً عن الصواب، ويعزلهم دون أن يدروا عن مجال المعرفة والفهم.

لقد كان شعار العالِم الرياضى الكبير.. "لاجرانج".. هذه الكلمة الباهرة ـ "لا أعرف" ..!!

و "نيوتن" وأنت تعرف من نيوتن.. كان يقول:

"إنى أتراءى لنفسى، كما لو كنتُ غلاماً يلهو على شاطئ البحر وأسَلّى نفسى بين الحين والحين بالعثور على حصاة أكثر مَلاسَة أو صدفة أكثر جمالاً.. بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون أن أعرف عنه شيئاً."!!

ففكر حين تفكر؛ دون أن تتخلى عن فضيلة التواضع، ودون أن يأخذك الغرور بعيداً عن حقيقة نفسك..

الوعد الحق

لقد وقف الرسول، وهو بَشر - يواجه يوم الفتح أعداءه الذين قاتلوه، وأخرجوه من داره وبلده، ومثّلوا في وحشية بجثة عمه، وعذبوا أهله وأصحابه، وجوّعوهم - وأنزلوا بهم كل صنوف البَغْي والاضطهاد..

وقف تِجاهَم يوم الفتح، ونواصِيهم كلها بيده، فما زاد على أن حَنَى رأسه شكرًا لله، ثم رفعه ليقول للناس: "اذهبوا فأنتم الطُلقاء" بل مضى يبالغ في تكريمهم حتى ينسيهم أنهم مهزومون..!

أفيفعل هذا بشَر، ثم تتوقع أنت أن الله هناك وراء قبرك يترقب مجيء روحك، ليُصْلِيَها عذابًا وسعيرًا..؟؟!!

لقد خوَّفنا الدين حقًا، وكان مضطرًا أن يفعل حتى يكبح الجموح، ويَنْهَهُ من ضراوة البغي..

أما رحمة الله، فهي الوعد الحق وهي الكلمة الأخيرة..

فاستقبل الله بهذا الفَهم الذي هو حق لا عزاء..

عندئذ ترى الله بهجة الدنيا والآخرة..

وآنئذ لن يغيب عنك، ولن تبحث عنه؛ لأنك ستجده في كل ما حولك من حياة - في الزهرة الباسمة.. في النَّبْتِ الطالع.. في شعاع الشمس.. في قطرات الغيث.. في السماء وفي الأرض..

ينتظرك على شوق.. ويقول في حديثه القدسي: "من مَشى إليَّ شبرًا.. مشيتُ إليه ذِراعًا.. ومن مشى إلى ذراعًا مشيت إليه باعًا.. ومن أتاني يمشي أتيته هَرْولة.." !!